

كان في نيتي أن أكتب مقدمة لمقالة تدور حول الأمثال الشعبية العراقية وشاعت الأقدار أن أعثر على كتاب صدر عن سلسلة عالم المعرفة بعنوان "أنثوية العلم" للباحثة الأمريكية د. ليندا جين شيفرد وترجمة عالمة المصرية "يمنى طريف الخولي"، يسلط الضوء على "الفلسفة الأنثوية" باعتبارها أهم تيارات الفكر الغربي الراهن والفلسفة المعاصرة.

"الفلسفة الأنثوية" ترفض اعتبار التفسير الذكوري المطروح على أنه التفسير الوحيد للعلم، فليس الرجل هو الإنسان وليست الذكورية مرادفة للإنسانية، كما أن المرأة ليست جنساً آخر أو نوعية أدنى من البشر. "الذكورة والأنوثة" هما الجانبان الجوهريان لمركزية الوجود البشري، لكل منهما خصائصه وسماته ودوره المؤثر في سائر جوانب الحضارة الإنسانية وعلى رأسها أمضى الجوانب وأشدّها حسماً : العلم.

حين تكشف النقاب عن العلم وممارساته التطبيقية نجده كياناً يشتمل على سائر الخصائص الإنسانية الأيجابية ذكورية كانت أم أنثوية، كلاهما على حدٍ سواء، وليس ذكورياً بنسبة 95% كما هو السائد حالياً. منذ بداية القرن التاسع عشر و "الأنثوية" تجاهد دفاعاً عن حقها الطبيعي في الوجود وذلك بالتكامل مع الذكورية وليس بالتعارض والندية إذ منهما معاً يأتي لقاح الحضارة المتكاملة وبذا فالأنثوية لا يمكن أن تضلّ قليلاً للشأن وانحساراً لفسح المجال للذكورية، إنما هي "تميزاً"، والعلم ليس مجرد منطوق نظريات ولا حساب أبعاد بين النجوم وتقنية خاصة بأصحاب الاحتراف بل هو أهم وأخطر ظواهر الحضارة الإنسانية وأحسنها تمثيلاً إيجابياً للعاطفة في شموليته؛ فمنطوق تحدي الفضاء على سبيل المثال يعمل في مؤسسات تحتاج إلى التفاعل مع كل الكائنات الحضارية "أنثى وذكر"، ومن أجل تطور العلم نحتاج إلى التخطيط العلمي وهذا يستدعي مشاركة كلا الجنسين لا بصفتهما "الذكورية والأنثوية" بل بقبليات "العقل التنويري". ألعلم إذاً ظاهرة إنسانية جوهراً إنساني يحتاج إلى الجنسين ومن هنا تنشأ مشكلة "الأنثوية" فالقيم التي تميزها ليست مناقضة للعلم، والحقيقة أن العلم "الذكوري" يفتقر إليها لأنه وحده لا ينتج الخير والسعادة للإنسان ولا يتم ذلك إلا بربطه بالقيم الأخلاقية والعاطفة "الأنثوية" فهما يتكامل نمو البشرية.

لم تستوقني مسألة "الأنثوية والذكورية" يوماً ما في حياتي إلا أن كل ما عايناه في العراق أصابنا جميعاً، "أنثى وذكر" وكان "للأنثى" دورها المتميز في دفع عجلة الحياة مع غياب شريكها "الذكر" أباً، أخاً، زوجاً، وإبناً. إن البنية اللغوية العربية مليئة بالمفردات "الأنثوية" التي تبنتها القيم "الذكورية" الناشئة في مجتمع "باترياركي": "أبوي" ذكوري" فجاءت مجسدة لقيم "ذكورية"، فمنذ 3500 سنة ق.م. في العراق وبداية التوطن والتدجين وتعلم "الزراعة" و"العمارة" واختراع "الكتابة" و"العجلة" وبدء ما يسمى بـ "الحضارة" و"العقلانية" و"الأحصانية" و"الدقة" ومفردات لغوية أخرى كـ "العاطفة" و"الرعاية" و"العناية" و"المجاهدة طويلة المدى" الخ، وهي كلها مفردات أنثوية، مفاتيح لقيم إنسانية تنسحب، رغم كونها بُنى "أنثوية" على الأنثى والذكر معاً، إلا أن غريزة الاستحواذ في مجتمع ذكوري أدت إلى حصرها في جانب واحد تماماً كالذي حدث لمهنة الخياطة والطبخ التي كانت ولزمن غير بعيد حكراً على المرأة باعتبارها مهناً "دونية" إلا

أن تصاعد مردودها المادي دفع الرجل الى تناولها فأصبح الآن أشهر طباخي العالم ومصممي الأزياء من "الذكور".

بعد الحرب العالمية الثانية وانهيار مركزية "الباترياركية" انهارت منظومة فكرية وابتدأت فترة ما يسمى بـ "الحدائثة"، لحظة إيجابية للـ"الأنثوية" وعصر نحتاج فيه للجميع، فهل نجد على مستوى الواقع أي تساوي بين الأطراف بعد انهيار المركز؟ "العلم" "قوة" و"قدرة" في "السيطرة" على "الطبيعة" تسخيراً لـ "خدمة" الإنسان إلا أن حصره الدائم بمفاهيم "ذكورية" وبسبب عنجهية "ذكورية" لطموح غير مشروع حرّفت عن غرضها وهدفها النبيل إلى إنتاج "أسلحة" دمار شامل لا تفرق حين تدمر بين ذكر أو أنثى.

كتاب الأمثال البغدادية للشيخ "جلال الحنفي" بجزنيه يبين بجلاء طغيان "الباترياركية" في النظرة إلى الأنثى واستغلال "أنثوية البنية اللغوية" في طرح المعاني الدونية، ولا يخفى أن من الأمثال تُعرف أخلاق الأمم وأطوارها ومنها تؤخذ حالتها الاجتماعية وأخبارها مما يعتبر أصح مورد وأغزره للبحوث الاجتماعية والنفسية لما احتوته من التقاليد والقيم المحلية وكما جاء في المثل الأنكليزي: "لا شيء ينبىء عن روح الشعب أكثر من أمثاله"، وكما قال الشاعر:

إن الكلام من الفؤاد وإنما جعل اللسان على الفؤاد دليلاً
وإليك البعض منها:

- الأب رب زغير: يُضرب تبريراً لتصرفات الأب حين يقسو على ابنائه ويراد به أيضاً إجلال مقام الأب ولفت أنظار بنيه وأفراد أسرته.

- ابن إبنك إبن، ابن بنتك، لع: المثل وارد على مذهب معروف في الأنساب وهو ظاهر المعنى وقد جاء في الشعر القديم:

بنونا بنو أباننا وبناتنا بنوهن أبناء الرجال الأباة

- ابن البجر، يحيي الذجر: يُضرب تعليلاً لفرط العناية بالبكر من الأبناء.

-أحمد وياكم يا بنات؟: المعنى: أيتها البنات هل أحمد معكن؟ إيهاماً بأنه واحد منهن للاستخفاف بالشباب المتخنت والخائر العزم.

-الأخ أخ مرتة، يفوت ويخلي أخته: يُضرب في قوة العلاقة الزوجية وطغيانها على العلاقات الرحمية.

- أخوه من أبوه كلهم يحبوه، أخوه من أمه سليمة تطمه: يُضرب للصلة تأتي عن طريق القوي فيكون لها بالغ الأثر بخلاف ما لو جاءت من مستضعفٍ، وقولهم: سليمة تطمه، من ألقاظ الأهانة، والسليمة (السلامى): ريح الجنوب.

- إلك أختها بالخرج: إلك: لك، والخرج: الوعاء أو الجراب: يُضرب لمن ينجو من محنة ليقع في أخرى.

- إستكبرها لو جانت مره: يضرب لمن يأخذ الأشياء بحجومها لا بمعانيها.

- إنهمج بيتها للباشية شكذ تنفخ: يُضرب تعريضاً بالشخص يُكثر من المبالغة.

- بابوجها علعتبه، وايزارها علكصبه: يضرب للمرأة شديدة الرغبة في الخروج من بيتها وإهمال شأنه.

- البرونة تحب عمى أهلها: يُضرب للشخص يفرح لأيداء أقرب الناس إليه.
- البنت غم ولو كانت مريم: يُضرب في العناء الذي تكابده الأسرة في إعالة البنات لأنهن لا ترفدن العانلة بالمال.
- البنيّه مزبلة، بالعجل تكبر: مثل يعكس نظرة المجتمع القاسية للأنثى.
- بوله بشط: يضرب للأمر يذهب ضياعاً.
- فطيمه بسوك الغزل: يُضرب للنكرة من الناس.
- السؤال نثيه والجواب ذكّر: يضرب في ذم الطلب من الناس لأنه دليل الاستجداء.
- شليله وضايح راسها: يُضرب للأمر المضطرب لا يهتدى فيه الى حل.
- شوروهن وخالفوهن: هذا على غرار المثل الصيني : أنصت إلى زوجتك ولا تصدقها.
- شهوة العجوز حصرم: يُضرب لغرابة الطلب وتفاهة المقترح وأيضاً للأذواق الفجة.
- الضره ضره ولو جانت فاطمة الزهره: يُضرب للعداء يستحکم بين ذوي الحرفة الواحدة وكذلك للضرائر من النساء.

- عكب ما فضت الزفه جتي الرعنه تهلهل: يُضرب للأمر يقع بعد فوات مناسيته فيكون ظاهر السماجة.
- عناد الخنفسانة: يُضرب لشدة العناد.
- عنزة الجريه متشرب إلا من راس العين: يُضرب في الصعلوك يظهر بمظهر المتبطين.
- الفرس من خيالها و المره من رجالها: يراد به أن المرأة التي يظهر على سلوكها الأدب فالفضل يرجع إلى زوجها الذي يتقن توجيهاها.
- القرج خاتونة المحله: يُضرب في المرأة ظاهرة الصلف والعجرفة، ويراد به عادة العقلاء في مداراة السفهاء.

هذا غيضٌ من فيض، وبحسب الأبجدية العربية هناك العشرات من الأمثال البغدادية تعكس سلبية تناول الأنثى صراحة أو باستعمال المونث من المفردات في حالات قد لا يكون للأنثى المسكينة أي دخل فيها سوى كونها "أنثى".

()

(2006 6)

/

()

)

)

() (

()

..(

(

)

()

()

()

(..

)

..(

)

(

..

)

()

)

(

) (

)

..(

..

2007/3/5

..2003

...

)

(

)

*

..(

(6)

(3)

*

(32) ...2006

..

.

.. "

"

"

.

" "

.. "

()

" " ()

.. "

"

.. " " " "

.

.

.. .

.

.

عقب الزهور والالوان في اعمال بهيجة الحكيم



كتابة : مها محمد حسن

ما أجمل الزهور عندما تكون لغة نتحاور معها عبر نسيج من الالوان والاشكال والمواضيع الفنية. وما اصدقها وهي تغدو رسالة حب وسلام تجمع بين افئدة ارتبطت بعهد الوفاء والمحبة.. وهل من معنى ابلغ مما تطلقه باقة ورد تتأملها من بعيد؟ لاجل هذا كله، كانت حصة الفنانة التشكيلية والرسامة بهيجة الحكيم كبيرة في رسم الزهور.

وزهور بهيجة حكاية بحد ذاتها.. فتارة تبدو زرقاء، واخرى رمادية او ذهبية اللون.. واجد ان الفنانة تحاول ان تنقل اللحظات التي تمر بها من خلال التحكم بلون الورد.

ولعل المتتبع لاعمال الفنانة يجد تعلقها الكبير بالنباتات، ولا تخلو اعمالها من زخارف نباتية في لمسات فنية تشكيلية وذكية تخدم موضوع اللوحة، على بساطته.

ولدى توقي امام زهور بهيجة وتلمسي لها سرعان ماتبادر الى ذهني غياب حركة الفرشاة ووجود آثار لشكل اصعب وبصمته.. واذا ماصح تخميني، فان بهيجة تكون قد رسمت الزهور باطراف اناملها !!



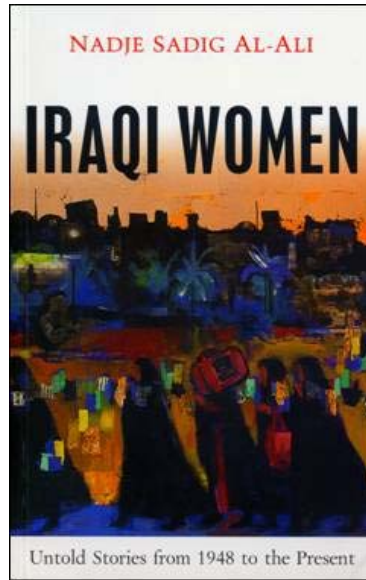
وبهيجة لم تنس تراثنا البغدادي العريق، اذ تكثر من رسم القباب والاقواس والاطواق، مع لمسات من الطلاسم والرقي والشموع والبخور.. وفي اعمالها الاخيرة برز اللون الاسود بشكل ملفت للانتباه. وقد يجد المتلقي في الظلمه دعوة الى التفاؤل والامل.. لان في السواد تمتزج خيوط من الضوء المعلن عن بدء صباح يوم جديد تزهر فيه الورد، وتغرد فيه الطيور اناشيد الحب والامل.. ان زخارف بهيجة الحكيم تدعو الى الحياة السعيدة، لابل هي السعادة بحد ذاتها.. ولا ادل على ذلك سوى مهرجان الالوان والنباتات المعفرة بحكايات تجسدها فتيات يانعن غزلن من نور الشمس شعرهن، ومن الوان قوس قزح ثيابهن في حبكة لونية متميزة..

من المكتبة العالمية:

Iraqi Women

Untold Stories from 1948 to the Present

Nadje Sadig Al-Ali



كتاب "نساء عراقيات" تأليف الباحثة نادية صادق العلي، يبحث في تطور الحركة النسوية في العراق منذ عام 1948، ويسرد عدد من القصص الواقعية بأسلوب تحليلي معمق. كما ينظر الكتاب في وضع الحركة النسوية منذ عام 2003، وتأثير العنف على حياة المرأة العراقية. الباحثة نادية العلي استأذنة في جامعة أكستر، ومختصة في قضايا المرأة والجنس في الشرق الأوسط، وناشطة نسوية. وهي من أب عراقي وأم ألمانية، ولها مؤلفات عديدة.